

هذا نظر يدلُّك إجمالاً على بعض الآثار العلية في بحر السنة ١٦٠٤ ومنه ترى أن العلوم في ترقٍ متواصل فإيا ليتها تقرب الإنسان إلى خالقهِ الذي وفَّر في الطبيعة كل هذه الوسائل لسعادته الزمنية كي يستعين بها إلى بلوغ غايته القصوى

رتبة ذر الرماد

لمحة تاريخية لمضرة الموردي ابراهيم حروفش المرسل اللبناني

ان عادة ذر الرماد على الرأس عادة عريقة في القدم مدلولها الاسف والندم على ما ارتكبه الخلق من المعاصي في حق الخالق . ولا غرو ان خست الكنيسة الرماد بهذه الرتبة لما وجدت فيه من الرمز الواضح الى اصل الانسان وآخريته اذ كونه الخالق من التراب ويكون مصيره بعد موته الى قليل من العفر والرماد

واعلم ان في العهدين القديم والحديث امثلة كثيرة تشير الى هذا الامر . فترى كثيرين من اولياء الله اذا ارادوا الدلالة على قوط اغتنامهم لارتكاب الآثام او حاولوا اخماد غضب الله في الرزايا العمومية او في النكبات الخاصة حثوا الرماد على رؤوسهم او ترغوا في التراب . فن ذلك ما قاله ايوب البار لما تخوف اسخاطه تعالى (٦ : ٤٢) : « اني أنكر مقالتي واندم في التراب والرماد » . وكذلك داود النبي قال منيباً الى الله في سفر الزامير (١٠ : ١٠) . « اني آكل الرماد مثل الخبز » . مشيراً الى انه يذُر الرماد على خبزه تقشفاً . وكان انبيا اسرائيل اذا حملوا الشعب على التوبة حرضوهم على البكاء . وعلى حشو الرماد على رؤوسهم ورجباً سبقوهم الى ذلك . وكان الله اذا رأى تدللهم على هذه الصفة ففر للشعب خطاياهم ورضي عنهم كما فعل باهل نينوى وكما كف ضرباته عن بني اسرائيل وصفح ذنب داود ومنى . وقد اشار السيد المسيح الى هذه العادة القديمة لما وثب اهل كورزين وبيت صيدا . على عصيانهم وقساوة قلوبهم قائلاً ان الرثنين من اهل صيدون لو رأوا الآيات التي فعلها تعالى بينهم لتابوا الى الله بالمسح والرماد (١)

(١) من العجيب ان السنودس (على ما روى السلام برتران مؤلف معجم الاديان والمذاهب) يكرمون غاية الاكرام رماد رجب البقرة اليابس ويصلتون على الرث منهُ مغابيل التنقية من الاقدار

وعلى مثال ما تقدم مشى التائبون في الاجيال الاولى للتصراثة فكانوا يبادرون الى الكنيسة في افتتاح الصوم فاثري الرماد على رؤوسهم لابين السرح حفاة منكي الرؤوس وكان الكاهن الموكول اليه امرهم يدون اسماءهم ويفرض عليهم كفارة تولذي جرمهم وكان الاسقف يبارك الرماد وينذر منه على رؤوسهم قائلاً: « تذكر يا انسان انك تراب والى التراب تعود كفر عن اثمك لتتال الحياة الابدية » . ثم كان يبارك السرح ويلبها التائبين وهو يتلو مع الحاضرين سبعة نزامير التوبة وغيرها من الصلوات ويخطب بهم مذكراً خروج الاب الاول من الفردوس بعد المعصية وانه على مثال ذلك يقتضى إبادهم عن الكنيسة الى مدة من الزمن . وبعد ذلك يأخذ احد التائبين بيده فيتبعه الباقون ممكنين بايدي بعضهم فيخرجهم خارج الكنيسة ويرشدهم الى الاعتصام ببرى المرحم الالهية وان يحجوا سجل اثمهم بالتوبة النصح فيوهلون الى المصالحة مع اليعمة والحل من خطاياهم يوم خميس الاسرار . وقد اتى تروتوليانوس على ذكر هؤلاء التائبين ودعاهم الرماديين (cinerati) واراد بهم الذين يذرون الرماد على رؤوسهم حزناً وندماً وتوبة لله . فهذا المشهد حمل المسيحيين الورعين انفسهم على التأسى بتوبة الخطاة المشهورين

ولكن في اي عصر عم هذا الطقس افراد المسيحيين دون تعقيد فالجواب منذ عهد مجمع باتقان (١) سنة ١٠٩١ ومذ ذاك الاوان دُعي اليوم الاول من الصوم الاربيني باربعاء الرماد في الكنيسة الغربية ولكن على الاصح هذا اليوم كان موعداً لافتح الصيام من الحيل الثامن على ما ذهب اليه امالار شماس كنيسة مثن الذي عاش الى سنة ٨١٠ م وقد ألف كتاباً في الطقوس ولستد مدعاه الى كتاب طقسي قديم كان

البدنية والاوزار الروحية . فيدعون هذا الرماد بلاط ساكنهم وجدراخا وساثر المتاع ويضمون منه صباحاً على الجبهة والصدر والكتف وقد يتناولوه البيض مدوقاً . . . تتأمل

(١) باتقان (Bénévent) مدينة من مدن ايطالية بالقرب من نابولي عُقد فيها جملة مجامع منها هذا المجمع المظور اعلاه عقده البابا اوربانوس الثاني في اوائل نيسان رتب فيه اربعة قوانين وفي هذا القانون الاخير ما مؤداه منع العوام عن اكل اللحم يوم اربعاء الرماد وان يدهن المسيحيين جميعاً دون استثناء بالرماد . والانتاع عن حفلة الزواج في الصيام الى ثمانية ايام بعد التنصرة وبعد الواحد الاول قبل الميلاد الى ثمانية ايام بعد عيد الدنح والظهور الالهي (عن معجم المجامع من مجموعة الاب مين)

مخوفاً في خزينة كنيسة طولون الكاتدرائية يرتقي على الاقل الى سنة ٧١٤ م الا ان عادة ذر الرماد ادرجت في الكنيسة بمنزلة طقس عمومي على ما ذهب اليه المدققون منذ الجيل الثاني عشر وهذا يارح القانون الرابع من مجمع باثان الذي اشرنا اليه ولا بد لنا هنا من ذكر ما جرت عليه ليتورجية ميلانو قبل توحيد الطقوس الغربية فجمعت ثمر الرماد ليس في افتتاح الصوم لكن في اليوم الاول بعد عيد الصعود وهو ابتداء ايام الطلبات عندهم (rogations) وصبر عنه السريان بلفظة *حُتْهُ* كما كذلك انفردت احدى المقاطعات في فرنسا بعبادة ثمر الرماد ليس قط نهار الاربعاء كما يجري الان بل نهار كل جمعة من اسابيع الصوم ومما يجدر بالذكر ان بعض الكتب الطقسية القديمة في الغرب تذكر « انك تراب والى التراب تعود » ثم يلتفت الكاهن الى التائب سائلاً: « اتقبل بطيبة خاطر الرماد والمسح بمنزلة شاهدين على توبتك امام الرب يوم الجسر » فيجيب : « انا راضٍ »

وقد حان الآن ان تكلم عن عوائد الطوائف الشرقية من هذا القبيل . فن الظاهر انه لا ذكر لهذه الرتبة عند واحدة منها وقد تفرقت طائفتا المارونية بهذا الامر فتحفل بهذا الطقس نهار الاثنين الاول من الصوم وذلك لانها تبدأ الصوم من هذا النهار طبقاً لعوائد الشرقيين ويظهر ان هذه العادة كانت مرمية في اقليم پروونس في فرنسا ذكرها احد العلماء الطقسين وهو دوران دي مند (Durand de Mende) الذي سُيِّف على ابرشية مند سنة ١٢٨٦ . ومما قاله : « نحن سكان پروونس نبدأ الصوم نهار الاثنين ونذر الرماد نهار الاربعاء »

أما رتبة الرماد وصلواتها فيظهر لادنى تأمل انها مترجمة عن اللاتينية ما عدا بعض آيات سرمانية ترتل خلال الحلقة . وعندنا يدهن الكاهن بالرماد جبهة الاكليروس والعوام على السواء بخلاف الكنيسة اللاتينية فانها تنثر الرماد على رأس الاكليروس وتدهن بوجبهة العوام برسم صليب

ولسائل اي متى دخلت هذه الرتبة في طقوس طائفتنا المارونية فالجواب ان دخولها كان من امد قريب والدليل ان المجمع البنساني الذي عُقد سنة ١٧٣٦ قد اتى على تعداد الرتب التي يجب على كاهن الرعية ان يقوم بها ولم يذكرها البتة . وهي على الاصح من تأليف السعيد الاثر البطريرك يوسف اسطفان ما لم يُقَل ان طابع وجامع كتاب

الرتب في رومية وهو المطران تقولا مراد قد اضاف هذه الرتبة وادخلها في سلك
ما طبعة

اثر نصراني قديم

او ترجمة مار ايرامبيوس القديس بالعربية

نشره حضرة الخوري جرجس كراف مدير المدارس في دلتجن من اعمال باقارية

نوطاً

قد اشتهر بين كتبة تراجم القديسين في اواسط القرن السادس اسقف يونساني يدعى تيرلس
ولد نحو سنة ٥١٤ ثم تهرب وقضى سنين من حياته في دير مار سابا الشهير الى ان سُقِف على
مدينة سيثوبوليس (Scythopolis) في عبر الاردن . ومن تأليفه المشهورة ترجمة التاكسين المبلين
في القديسين مار اوثوميوس (اثيرموس) ومار سابا طُبعتا غير مرة في اصلهما اليوناني . وله
تراجم اخرى اخذها ايدي الضياع

على انه يوجد في بعض خزائن الكتب الشرقية في اوربة ما يبدؤ هذا الملل فن ذلك كتابان
مخطوطان من اقدم الآثار النصرانية . احدهما بصان في المكتبة الوايتكانية (Cod. Ar. 71) خُطَّ
في السنة ٨٨٥ للميلاد يد « اسحاق الراهب في دير طور سينا على نسخة خطها داود بن سينا (١)
البنفادي الراهب في دير مار سابا (٢) والكتاب الآخر حصل عليه تيشندروف وهو اليوم في
مكتبة كلية ليبك (2, Leipzig, Cod. rescriptus Tischendorf) وهذا الكتاب مكتوب على
رقع خُطَّ عليه سابقاً فصول يونانية من الكتاب المقدس ثم حُكَّت الكتابة فُخِطَّت فوقها بالعربية
تراجم القديسين لتيرلس الاسقف . والكتابة ايضاً لداود الراهب المذكور الذي كان كاتباً في
دير مار سابا (٣ نحو السنة ٨٨٥ حتى السنة ٨٩٥

وساً تحتويه النسخة الوايتكانية من سير الآباء القديسين ومصنفهم لتيرلس او لا ترجمنا
القديسين « اوثيرموس وسابا » وهما كاملتان أما في نسخة ليبك فنير كابلتين . ثم بداءة ترجمة

(١) هذا العلم مبهم الكتابة لهله « لسين »

(٢) ومن هذا الكتاب نسخة اخرى في خزانة الوايتكان آلا انها حديثة (Cod. Ar. 695)

(٣) راجع ما جاء في صدره = 386; XV, 387; VIII, 148, seqq.; ZDMG, I,

Assemani: B. Or., II, 510; Mûi: Coll. Nova IV, 143